ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Islamic Civilization: Between Originality, Innovation and Informational Revolution

Prof. Mohammed Kareem Al-Jumaily, Ph.D

Assist. Prof. Laith Abdulwahhab Al-Hayali, Ph.D.

College of Education, Iraqia University

* *Corresponding author: E-mail* : dr.m.aljumaily@gmail.com

07715640009

Keywords:
Civilization,
Information,
Technology,
Digital,
Communication,
Humanity.

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	15 July 2023
Received in revised form	25 July 2023
Accepted	13 Aug 2023
Final Proofreading	25 Dec 2023
Available online	30 Dec 2023

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

The information and communications revolution has come a long way in development. Science has reached its peak in the digital world, to the point that information has become circulating around the world in limited seconds. In the face of this tremendous development and qualitative leaps, Islamic civilization, with its human sciences, remains a pioneer in this world thanks to the ethics it has given it that governs it with a balance and its orientation towards serving all humanity.

In order to explain the development of technological sciences in our present era, we must know that all the scientific and intellectual renaissance that we are witnessing today had a major role in it for Arab and Muslim scientists, as evidenced by the Western world's recognition of that merit, which they bore witness to in North Africa, Cordoba, and the rest of Andalusia when they dominated the world with the abundance of their scholars and the diversity of their scientific and human specializations.

We must point out that, despite the world's progress in all fields of science and knowledge with a global technological revolution, all these achievements remain hostage to the determinants of Islamic constants in making all sciences follow the religious and moral factor, which imposes harnessing all these achievements to serve humanity and build the ideal society, and not be a destructive factor by using Technology in moral corruption through globalization in all its trends, which destroys all societies in the name of human liberation, trade and economics, so that they can have the world in their hands and run it as they please.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.30.12.2.2023.06

الحضارة الإسلامية بين الأصالة والتجديد وثورة المعلوماتية

أ. د محمد كريم الجميلي/ كلية التربية–الجامعة العراقية

أ. م. د ليث عبد الوهاب الحيالي/ كلية التربية–الجامعة العراقية

الخلاصة:

قطعت ثورة المعلومات والاتصالات شوطاً كبيرا في التقدم، وبلغ العلم ذروته في العالم الرقمي حتى أصبحت المعلومة تطوف حول العالم بثواني محدودة، وأزاء هذا التطور الهائل والقفزات النوعية تبقى

الحضارة الاسلامية بعلومها الإنسانية رائدة في هذا العالم بفضل ما منحته له من أخلاقيات تحكمه بتوازن وتوجهه نحو خدمة البشرية جمعاء.

ولأجل بيان تطور العلوم التكنولوجية في عصرنا الحاضر لا بدَّ أن نعلم أن كل ما نشهده اليوم من نهضة علمية وفكرية كان للعلماء العرب والمسلمين دور كبير فيها بدليل اعتراف العالم الغربي بذلك الفضل الذين شهدوا لهم بشمال افريقية وقرطبة وسائر الأندلس يوم سادوا العالم بكثرة علمائهم واختلاف تخصصاتهم العلمية والإنسانية.

ولا بد أن نشير الى أنَّ العالم ورغم تقدمه في كل مجالات العلوم والمعارف بثورة تكنولوجية عالمية تبقى كل تلك الانجازات رهينة لمحددات الثوابت الاسلامية في جعل كل العلوم تتبع للعامل الديني والخلقي الذي يفرض تسخير كل تلك الانجازات لخدمة البشرية وبناء المجتمع المثالي، ولا تكون عامل هدم بأن تسخّر التكنولوجيا للفساد الخلقي عن طريق العولمة بكل اتجاهاتها التي تهدم كل المجتمعات باسم تحرير الانسان والتجارة والاقتصاد حتى يكون العالم بأيديهم يسيروه كما يشاؤوا.

الكلمات المفتاحية: الحضارة، المعلوماتية، التكنولوجيا، الرقمي، الاتصالات، الانسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحضارة الإسلامية بين الأَصالة والتجديد وثورة المعلوماتية

المقدمة

لقد قطعت التكنولوجيا وعلم الاتصالات خطوات كبيرة تفوق التصور وذلك بسبب القفزات الاستثنائية المعرفية في تلك العلوم جعلت العقل الإنساني يطمح الى أبعد مما هو عليه. فبعد كل نجاح يُحَقَق في أيّ مجال من مجالات الحياة المعرفية والتكنولوجية نرى أنَّ علماء كلّ اختصاص تقني وعلمي ورقمي يبدؤون بتجربة ما هو أكثر مما حققوه من نتائج على أرض الواقع ليبلغوا خُطوات في الرقي تليق بما يُسمّى عصر السرعة والعالم الرقمي، فبعد سبر أَغوار الكون والفضاء يبقى طموح الانسان العلمي لا يقف عند مرحلة معينة بل يُسابق الزمن حتى يرى الانسان إنجازاته قد تحققت والتي كانت في يوم من الأيام حلماً لم تكن تخطر ببال بشر.

ووسط هذه الإنجازات البشرية المهولة وتقلبات العالم المعاصر بكلِّ حيثياته العلمية تظهر آراء وكتابات تقلل من شأن العلوم الانسانية على أَنَّها ماضٍ انتهى واندثر ولا داعي لتقليب صفحاته ومعرفة بواطنه لأنَّ أسبابه ونتائجه درستها الأجيال ولم يعد هناك ما هو مخفي منها، فضلاً عن البون الشاسع

بينها وبين العلوم الطبيعية والصرفة التي أذهلت العالم بتطورها وتجددها، فيما تبقى العلوم الانسانية بمجملها جماد ليس فيه روح –والتاريخ نموذج عنها– تراوح مكانها.

لقد نسي أو تناسى العالم الغربي وكل من يؤمن به وينبهر لعظم انجازاته حتى من أبناء جلدتنا الذين جعلوا من التقدم المادي والتكنولوجي وثناً يُعبد على أنه أعظم ما قدّمه الانسان للمجتمعات الانسانية عامة وتناسوا أنَّ كلّ حضارة مادية قائمة اليوم قد سبقتها العلوم الانسانية التي وضعت لها الأسس التي من المفترض أنها قامت عليها، فعلم التاريخ والجغرافية واللغة والاجتماع والفلسفة وغيرها كانت قد نشأت ونضجت على يد علماء وفلاسفة قادوا تلك المجتمعات الى التفكير السليم في بناء الأمم والأوطان، وإلاّ فكيف تنهض أمة من الأمم وتتقدم علمياً دون أن تفكّر وتؤسس لنهضتها العلمية، ولا يكون ذلك إلاّ على يد العلماء والفلاسفة والمفكرين الذين يضعون لها اللبنة الأساس في صرح بنائها العلمي.

ومن هنا كان العلماء العرب والمسلمين هم رواد نهضة الأمم بصورة عامة وليس للمسلمين فقط، يشهد لهم تأريخهم في بغداد والقاهرة والمغرب والأندلس أنهم فتحوا أبواب مدارسهم أمام كل البعثات الأوروبية دون تمييز بين عرق أو طائفة أو دين لينهلوا من منابع الاسلام الصافية العلوم العقلية والنقلية على حدٍ سواء ومن علماء لا يُحصون عدداً كابن سينا والفارابي وجابر بن حيان وابن رشد وابن النفيس والخوارزمي والبيروني وغيرهم الكثير. ولم يكن هؤلاء العظماء ليظهروا على الساحة ويكتسحوا الأمم برقيّهم الحضاري والعلمي إلاّ أنهم جسّدوا معارفهم وعلومهم بأخلاق حسنة ومُثل عليا اكتسبوها من دينهم وتراثهم وآدابهم التي تدعو الى بناء النفس البشرية وتهذيبها قبل إبداعها المادي وتقدُّمها العلمي.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم الى مبحثين: كان الأول بعنوان "الثورة المعلوماتية الماهية والسمت والنتائج"، أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان "الأصالة وإشكالية توظيف المعلوماتية في العلوم الإنسانية". ثم ذكرنا أهم التوصيات المستخلصة من البحث مع ذكر المصادر والمراجع المستخدمة فيه.

المبحث الأول

الثورة المعلوماتية الماهية والسمات والنتائج

من البديهي أنَّ المرحلة التي نعيشها حالياً هي مرحلة ما بعد التصنيع ، أو بالأَحرى عصر المعرفة. حيث نقلت الثورة المعلوماتية المجتمعات من صناعية الى معلوماتية، فما هي المعلوماتية (Information Science)؟

المعلوماتية: هو ذلك العلم الذي يهتم بالموضوعات والمعارف المتصلة بأصل المعلومات وتجميعها وتنظيمها واختزالها واسترجاعها وتفسيرها وبثّها وتحويلها واستخدامها، كما يتضمن البحث عن تمثيل المعلومات في النظم الطبيعية والصناعية والإدارية، واستخدام الرموز والأكواد في نقل الرسالة

والتعبير عنها بكفاءة فضلاً عن الاهتمام بدراسة أساليب معالجة المعلومات كالأنظمة المعلوماتية ونظم البرامج (الجاسم، 2005: 49). أَي أَنَّ المعلوماتية لا تقتصر على جمع المعلومات، وإنَّما يمكن اعتبارها علم يعتمد على الوسائل التكنولوجية في تنظيم البيانات والمعلومات. بمعنى آخر أنَّ المعلوماتية عبارة عن منظومة ثلاثية الأبعاد وهي العتاد والبرمجيات والموارد المعرفية (ياسين، 2000: 118).

أمّا الثورة المعلوماتية (Information Revolution) فهي مصطلح يصف ثورة المعلومات (الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية) بعد الثورة الصناعية، ثم تمكين ثورة المعلومات من خلال التقدم في تكنولوجيا أشباه الموصلات. وقد عرفها الدكتور فيصل هاشم بأنها " ثورة تدعو الى الاستفادة من القدرات الانسانية الذكية لمجموع الناس (الابتكار المجتمعي) وليس عند أفراد بعينهم" (شمس الدين، 2008: 63). وعرّفها آخرون بأنها الطفرة التي حدثت في عالم المعرفة والبيانات في الآونة الأخيرة، والتقنيات المذهلة التي توصل اليها الانسان لمعالجة البيانات الخام والتوفيق فيما بينها لتحويلها الى معلومات وارقام تفيد في بناء المجتمعات والحضارة الانسانية .

فالبيانات هي المادة الأولية، وهي المُعطيات البكر التي تستخلص منها المعلومات كقراءات أجهزة القياس والإشارات التي تنبعث من أجهزة الإرسال وتلتقطها أجهزة الاستقبال، وهي ما ندركه بحواسنا مباشرة. أمّا المعلومات فهي ناتج معالجة البيانات، تحليلاً وتركيباً لاستخلاص ما تتضمنه هذه البيانات أو تشير إليه، من مؤشرات وعلاقات ومقارنات وموازنات وغيرها من خلال تطبيق العمليات الحسابية والطرق الاحصائية والرياضية والمنطقية .

كان أول من استخدم هذا المصطلح العلامة البريطاني (جي. دي. برنال) عام 1939م في كتابه (الوظيفة الاجتماعية للعلوم). وقد لوحظ أنه أحياناً يجري خلط بين مصطلحات متقاربة لثورة المعلومات ألا وهي الثورة الرقمية وثورة الاتصالات والتي بدورها قفزت على الحواجز اللغوية والسياسية وحولت عالمنا الى قرية صغيرة، وهي بمجملها تمثل في أيامنا هذه القاعدة والحاضنة والناقلة الرئيسية لثورة المعلومات.

ومما لا شك فيه أنَّ علم المعلومات إثر الثورة الصناعية الثالثة قد دخل في جميع الميادين، بحيث تقدم وتطور بحكم نوعية المعلومات وكميتها وأنماط توزيعها وآلية تعاملها مما أوجد صيغة جديدة تسمى بنظم المعلومات (الزبيدي، 2001: 6).

ويرجع بعض الباحثون الى أنّ نشاه بداية الثورة المعلوماتية الى أوائل الثمانينات من القرن الماضي، حيث بدأ ظهور الحاسوب الشخصي وأصبح تملّكه أمراً يسيراً، حتى أضحت الحاسبات الشخصية في الوقت الراهن مُتاحة وأصبح استخدامها يتم على نطاق واسع، فعكف العلماء على تطوير التقنيات

المختلفة التي تجعل بإمكان الانسان القيام بالكثير من العمليات في آن واحد مما يوفر عليه الوقت والجهد.

ولكن هذا التمكُّن فرض على هذا الجيل والاجيال التالية تحولات جذرية سريعة ومعقدة وشاملة قد تزداد تعقداً وسرعة بطريقة يصعب متابعتها، هذه التغيرات بدأت منذ سنوات ولا نستطيع أن نتوقع متى ستنتهي، وان كانت جميع الأَدلَّة والقرائن تؤكد حَتميَّة استمرارها بدرجة أكثر تعقيداً وعُمقاً، كما أنها تحمل بين دفَّتيها العديد من التحديات والمشاكل التي تقتحم محيط الانسان، فيبدأ القلق والاغتراب يراودانه خوفاً على ذاته ومستقبله ومجتمعه الذي يعيش فيه لا سيما بعد أن أصبحت الموارد الطبيعية في مجتمع المعلومات الحالي هي الذكاء الانساني والمهارة والقيادة أصبح الانسان هو مادة الصراع وفي كل بقعة من العالم وفرة منها. وهذا يعد بأن تكون المرحلة القادمة في التاريخ الانساني ذات أهمية خاصة (دفلين، 2001: 32).

العناصر الأساسية لثورة المعلومات

إنّ التحول الى عصر ثورة المعلومات أعقب تحول المجتمع من زراعي الى مجتمع صناعي برغم أنّ الثورتان الزراعية والصناعية في بعض جوانبهما محصلة لتدفق متجدَّد وخَلّاق للمعرفة على أيدي وعقول المبدعين والمخترعين والمجددين والعلماء، غير أنّ عصر الثورة المعلوماتية يمثل ثورة تخطت الأفكار والايديولوجيات والعقائد والتقاليد، وساهم التطور التكنولوجي الذي أحدثه العقل البشري في ظهور مستمر لفعاليات جديدة مرتبطة بالمعلومات وتداولها وصناعتها. وبناءً على ما سبق أصبح من الصعب تأطير الثورة المعلوماتية بمفهوم محدد، ولكن من الممكن تشخيص العناصر الاساسية التي يرتكز عليها هذا المفهوم، وهذه العناصر هي (عودة، 2014: 472-473).

- ظهور بيئة مجتمعية دولية مبنية على اساس انتقاء المعلومات والمعرفة والاتصالات، عن طريق إيجاد بيئة فعالة بين الإنسان والأشياء، وبين الإنسان والدولة، وبين المجتمعات المختلفة بغض النظر عن الحدود الجغرافية أو اللغة أو الآيديولوجية.
- إعطاء مساحة أكبر في استلام وتسويق المعلومات والمعرفة.
- ضرورة إزالة الحواجز الجغرافية بين الأمم والشعوب والبلدان.
- هندسة منظومة الايقاع الحيوي للفرد والمجتمع، وتتمثل في أربعة عناصر، وهي: الجانب البدني والجانب الانفعالي والجانب الفكري والجانب الحدسي.

الفرق بين المعلومات (Information) و المعرفة (Knowledge) :

المعرفة هي نتاج تفاعل وانتفاع المرء من المعلومات المختزنة في ذاته، أي هي مرحلة ما بعد مرحلة استقبال المعلومات وهضمها، وقد مثلها دفلين (2001، 33) على شكل معادلة تُكتب كالآتي:

المعلومات = البيانات + المعنى

المعرفة = المعلومات المختزنة + القدرة على استعمال المعلومات .

إنّ نسبة ما يتحول من معلومات الى معارف على الأعمّ الأغلب يكون قليلاً ومتواضعاً بالقياس الى وفرة المعلومات ووفرة حواملها، وهذا يعني أيضاً انه حتى بتوفر المعلومة على نظام يضمن لهذا الانتشار بهذا الفضاء أو ذاك، فإنها لا تسمو دائما الى مرتبة القيمة إلاّ بتحولها مع الزمن الى معرفة. ولربما لهذه الاسباب نرى الدول المتقدمة قد تجاوزت خطاب (مجتمع المعلومات) وبدأت تتحدث عن مجتمعات للمعرفة (اليحياوي، 2019: 96).

إنَّ القرن الواحد والعشرين وبما يشهده من ثورة معرفية كبيرة أساسها هو المعلومات لا غير فإنَّ معايير القوة في هذا القرن ستتغيّر تبعًا لذلك، وهذا ما يراه آلفين توفلر بقوله: " ان القوة في القرن الواحد والعشرين لن تكون في المعايير الاقتصادية والعسكرية ولكنها تكمن في العنصر (K) (المعرفة Knowledge) (توفلر، 1990: 61) لذا فإنَّ الحال يفرض على من هم في أعلى السلم الهرمي للتعليم أن يعملوا جاهدين في مواكبة هذا التطور الذي يشهده العالم، وعلى الأكاديميين أن لا يكونوا بعيدين عن هذا المسار وأن يرتقوا بقدراتهم العلمية وقدرات من هم بمعيتهم ليكونوا قادرين على أن يكون لهم تأثير في الساحة الاقليمية والعالمية في ميدان استخدام تكنولوجيا المعلوماتية وعملية الانتاج الفكري .

السمات المميزة لعصر ثورة المعلومات:

تميز عصر المعلومات بسمات وخصائص ميزته عن باقي العصور، ومن أهم هذه المميزات هي سيطرة المعلومات وتداولها على مختلف جوانب الحياة في إطار ثورة ثقافية، مع بروز شبكات المعلومات وانتشارها بشكل كبير بسبب تحولها من شبكات محلية الى شبكات اقليمية وعالمية مما سمحت بالاتصال المباشر بين البشر والذي أدى الى زيادة كبيرة في تدفق وانتاج المعلومات (بيزان، 2004: 19) مختصرة بُعدَي الزمان والمكان بين مناطق العالم المختلفة، مما دفع كثير من المفكرين والعلماء الى الاعتقاد بان هذا العالم المترامي الأطراف تحول في فترة وجيزة الى قرية كونية واحدة، فأصبحت العلاقات الاجتماعية بين الأفراد على مواقع التواصل الاجتماعي أكثر زخماً وتواصلاً، واصبحت التأثيرات والأحداث العالمية سريعة الانتقال من دول الى اخرى ومن مكان الى آخر بسبب سرعة التواصل بين الأفراد. كما أنّ اقتصاد الدول وأمنها القومي أصبح يعتمد على صناعة المعلومات، فإنّ تفاوت إسهامات شعوب العالم

في انتاج المعرفة يزيد من الهوة التي تفصل بينها. كما ويجعل الدول المتقدمة في هذا المجال في حالة سباق تكنولوجي دائم لأن من يحقق هذا السبق سيضمن سيطرة أكبر على الاقتصاد العالمي.

ورافق عصر الثورة المعلوماتية زيادة الاستثمار في مجالات التكنولوجيا الحديثة، مثل الاتصالات، والالكترونيات، والحاسب الآلي. وتبقى السمة الأكثر وضوحاً هي سهولة التعامل مع الحاسبات الآلية واستخدامها في مختلف المجالات والأنشطة العسكرية منها والاقتصادية، والسياسية والثقافية والاجتماعية والاعلامية (عودة، 2014: 473).

إنّ الثورة المعرفية أَدَّت الى ظهور مفهوم (النهاية ـ البداية) فنهاية عصر الصناعة هو بداية عصر المعلومات، ونهاية المدرِّس هو التوسَّع في استخدام تكنولوجيا التعليم من برامج تعليمية ونظم آلية لتأليف المناهج وتقييم أَداء الطلبة وانتشار مواقع التعلم الذاتي عبر الانترنت سيؤديان في نهاية الأمر الى الاستغناء عن المدرّس، ونهاية الذاكرة هو الانسان يوشك ان يستغني عن ذاكرته الطبيعية أمام توسع استخدام تكنولوجيا المعلومات، ونهاية الوسطاء يعني به سقوط الحلقات الوسيطة من سماسرة ووكلاء سياحة وناشرين، وذلك من خلال التعامل المباشر عبر الانترنت (نبيل، 2000: 14).

تأثير الثورة المعلوماتية على الأفراد والمجتمع:

من المسلّم به أنّ الثورة المعلوماتية وما حملته في طياتها كان بمثابة ثورة جذرية مستمرة شاملة لجميع مناحي الحياة، حيث انها لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وتعاملت معها، ومما لا شك فيه ان كل نشاط انساني وخصوصاً نشاط بهذا الحجم يترك آثاره السلبية والايجابية على الأفراد والمجتمع، لذا نرى العالم في تسابق نحو السيطرة المطلقة لسلطة المعلومات وتحولها لاهم الأسلحة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وثقافياً، فتصوغه صياغة جديدة قد تحمل موجات خطيرة بسبب فوضوية الثورة المعلوماتية والنيات التي يبطنها من يمتلك اسلحتها لتحقيق مآرب واهداف خاصة، وغسل عقول البشر للتحكم بهم واستغلالهم. فخطورة المد المعلوماتي الجديد تنبع من قدرته على استحواذه للقنوات والأدوات التي تصنع ثقافة الفرد وبالتالي تستحوذ على بنيته المعرفية وتتحكم في سلوكه وتوجهاته وأهدافه (مرتضى، 2000: 3).

لقد كان للثورة المعلوماتية انعكاس على البيئة الاجتماعية، وأول من نبّه الى هذا المعنى هو العالم ابن خلدون (ابن خلدون، ت808هـ: 309-310) عندما أكد على علاقة الارتباط بين الثقافة والعمل، وأنّ المعرفة تنطبع بطبيعة المناخ الاجتماعي الذي تنطلق منه، فقد أدى ظهور المعلومات والاتصالات الى خلق فجوة في التركيبة الاجتماعية وأدى الى انقسام المجتمع الى فئتين، ففئة تمتلك المعلومات وتستخدمها وتتداولها، وفئة تجد صعوبة في استخدامها وتداولها، ومع ازدياد تأثير الانتاج الكبير

للمعلومات ووسائل الاتصال يكون من الطبيعي أن تتسع هذه الفجوة وتزداد ابعادها، وتتصاعد مظاهر التوترات الاجتماعية في مختلف أنحاء العالم، وتهميش فئة لفئة أُخرى وما ينجم عن ذلك من نمو النزعة الشوفينية، ونمو الجريمة المنظمة والعنف وانتشار المخدرات .

كما أَخَلَّت بمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية أَمام المواطنين، إذ سيكون التعليم متاحاً لأبناء الطبقة الاجتماعية الغنية التي تملك الانترنت واستخدام البرمجيات المختلفة، وامتلاك اجهزة الحاسوب المتطورة، فضلًا عن كل ما انتجه الانفجار المعرفي، أكثر مما هو مُتاح لأبناء الطبقة المتوسطة والفقيرة، ولذلك ستتسع الهوة بين الفقراء والأغنياء (مارتن وشومان، 1990: 32).

وبسبب فقدان أَي نوع من الرقابة على شبكات الانترنت أَصبح مرور ونشر القيم والعادات والتقاليد والمنتجات الفكرية ممكناً لكلِّ شخص أو مؤسسة. لذلك نجد في شبكة الانترنت كثير من المواقع غير المقبولة اجتماعياً وعقائدياً تنشر سمومها عبر تأسيسها لمواقع العنف والجنس والإلحاد والتعصب العنصري... وغيرها. كما أصبحت الشبكات مرتعاً للدعايات الهابطة التي تنتهك خصوصية الناس من خلال وصولها للأفراد أَثناء تصفح الانترنت (بدراوي وفتحي، 2003: 320).

أمّا صحة الانسان فكان له نصيب من تداعيات استخدام شبكات الانترنت بإفراط وبدون تقنين، فبرزت مشكلة إدمان الانترنت، وهو الشعور بالحاجة المُلحّة الى الإبحار في شبكة الانترنت لأوقات طويلة والتي يصحبها قلة الحركة التي من الممكن أن تؤدي الى عوائق جسدية أو الى مشاكل في أجهزة الجسم المختلفة كالبصر وغيره .

إنَّ استعراض سلبيات التطور المعلوماتي لا يعني أبداً الصورة القاتمة سرعة الوصول للمعارف والمعلومات من مصادرها التي قد تتبادر الى الذهن عن الثورة المعلوماتية، بل على العكس من ذلك فإنّ هذا التطور المعلوماتي يحمل بذوراً معرفية ايجابية يمكن أن تساهم في حلّ الكثير من المشاكل الانسانية المعقدة، مثل تمتين صلة الأفراد بمصادر المعلومات لسرعة الوصول للمعارف والمعلومات بكل يُسر وسهولة وفي أي زمان ومن أي مكان. كما أنّ المعلوماتية ممكن أن توفر إمكانيات التعلم الذاتي والتدريب والتطوير والتنمية الشخصية من خلال ما يوفره الانترنت من كتب ووسائط عديدة وخاصة تلك المواقع التي توفر هذه الخدمات مجانا. لذلك نرى الآن أنه لا يمكن لأي باحث أكاديمي أن يستغني عن هذه الخدمات التي يُقدّمها الانترنت بكل سهولة ويُسر .

ومن الممكن لبعض المواقع التربوية أن تقدم استشارات تربوية واجتماعية ونفسية عن طريق متخصصين لكل من يطلبها من تربويين وأكاديميين. وكذلك توفر شبكات الانترنت ومن خلال شبكات التواصل الاجتماعي مساحة واسعة لمن يرغب في تكوين المجتمعات الافتراضية التخصصية وفي جميع

المجالات المختلفة. كمواقع الجمعيات الخيرية والعمل التطوعي وغيرها. وأخيراً لا يمكن أن ننكر أَنَّ شبكات الانترنت ساعدت على توفير فرص عمل جديدة من خلال التجارة الإلكترونية والإعلام الإلكتروني .

المبحث الثاني

الأصالة وإشكالية توظيف المعلوماتية في العلوم الإنسانية

لقد أحرزت الحضارة الغربية تقدماً كبيراً ومهولاً في العلوم المعرفية على اختلاف أنواعها وبكلّ حيّثياتها لا سيما في القرن الحادي والعشرين الذي سميّ بالعصر الرقمي، وتجاوز تسمية القرن السابق – العشرين – الذي وصف بأَنَّه عصر السرعة أَو عصر الذَرَّة. وهنا لا بدَّ أَنْ نسأل أنفسنا نحن المسلمين هل بإمكاننا الّلحاق بهم ونواكب إنجازاتهم بنفس الهمَّة والدِقَّة والإخلاص؟ ولكن قبل أَنْ نُجيب عن السؤال لا بُدَّ أَنْ نتوقف عند أصالة العلوم والفنون التي أَبدع فيها العرب والمسلمين في قرونهم الأُولى وما تركوه لنا من مُنجزاتٍ علميةٍ وابتكاراتٍ مَعرفية يحقُّ للأمة أَنْ تفتخر بها كونها رائدة للعالمية آنذاك جعلت أُمَمَ الغرب تتهافت على الأَخذ مما وصلت إليه من ثقافةٍ وعُلومٍ في عُصورهم الزاهرة في بغداد ودمشق والقاهرة والأندلس وغيرها (حسني، 2016: 44).

ومما لا شك فيه أَنَّ المسلمين في عصور رقيّهم الأُولى لم يبلغوا تلك المرحلة إلّا بتوظيفهم للثوابت والقيَم الإنسانية المتمثلة في التمسُّك بأَخلاقيات القرآن الكريم بالتعامل مع نواميس الكون في تسخير كلِّ ما هو موجود على الأرض والسماء لخدمة الإنسان والبشرية جَمعاء وبالتالي يتحقق المطلوب من الإنسان في رحلة حياته الأولى وكما سمّاه القرآن بالاستخلاف الذي يتضمن شروطاً وقيوداً رَبّانية لا يتحقق إلّا بها.

لقد كانت الثورة الصناعية في أوروبا الغربية حدثاً عظيماً وكبيراً غيّر مجرى التاريخ والانسان الغربي عموماً، فكان لاختراع البخار والبارود والآلات الصناعية في القرن التاسع عشر تطور نوعي ومعرفي غير مسبوق عالمياً، ثم خطا خطوة ثانية بعد أن تجمعت لديه عدّة صناعات آلية واتجه الى تطبيقات الكهرباء ثم اتجّه بخطى ثابتة نحو المرحلة الثالثة وهي ثورة العصر النووي الذري في القرن العشرين (السامر، 1977: 9). وها هو يطوي السماء والأرض باكتشافات الفضاء وتأسيسه للعالم الرقمي المعاصر الذي نشهد تقنياته في كل مجالات الحياة. وعلى ذلك فإنّ قصة الحضارة الغربية هي ليست فقط قصة انتصار الانسان على قوى الطبيعة وإخضاعها لأغراضه وإنما هي أيضاً قصة الدأب المتواصل لمواصلة هذا الانتصار(السامر، 1977: 15).

ومع هذا الكم الهائل من المصانع والآلات الصغيرة والعملاقة التي اقتحمت كل ميادين الحياة حتى أصبح الإنسان أسيراً لها مما دعا الكثير من المفكرين والفلاسفة أن لا ينقادوا للجمادات ويركن عقله جانباً تتحكم الآلة فيه. فقال العالم جورج برنانوس الكاتب والروائي الفرنسي : (إنَّ طغيان ذلك العملاق الميكانيكي أدى الى فقدان التأمّل الداخلي والنفسي والذاتي). أما المفكر جول رومان فقد لاحظ خطورة الهوة السحيقة والتباين الشاسع بين ارتفاع منحى التقنية وانخفاض منحنى المؤسسات الاجتماعية مع بقاء الطبيعة البشرية ثابتة على خط بياني واحد.

ومن هذا المنطلق الغربي العقلاني أصبح لزاماً على الأمة الاسلامية أن تتأقلم مع الواقع العلمي الراهن الذي يُسابق الزمن حتى لا يبقى موصوماً بالتأخر والتخلف وهي النظرة السائدة منذ عقود طويلة أسهم فيها أُناس من أبناء جلدتنا وعقيدتنا لا سيما الذين تبنوا الفكر الليبرالي والاشتراكي وغيره من التيارات الشرقية والغربية. وذلك لأَنَّ إحدى ميزات أَصالة الحضارة الاسلامية هي الانفتاح على الواقع بسبيل تفعيله، وهذا الانفتاح على الغرب لغرض الاستفادة من معارفه وعلومه لا التقليد له والأَخذ بنمط الحياة لدى الغربيين (محفوظ، 2000: 21).

لذا فمن الواجب على مَن يتصدى للعملية التربوية في العالم العربي أن يبدأ بجدولة مناهجة وصياغتها من جديد وفق رؤية علمية تطورية تلائم الحاضر ولا تتقاطع مع الماضي الموروث من تراثنا الإسلامي الخالد، لأنَّ العلوم التكنولوجية والعلوم الإنسانية وجهان لعملة واحدة شعارها النهوض الحضاري بالأُمَّة، فالآداب خزينة فكر وتقاليد أُمَّة، والتكنولوجيا وسيلة نستعملها في حياتنا اليومية، فليس كل من مَلَكَ هاتفاً خلويا يتصل به بالأقمار الصناعية أو سيارة فارهة أو أجاد استخدام كلّ تقنيات الحاسوب هو الإنسان الحضاري! فالحضارة قبل كلّ شيء هي سلوك وأفعال وآداب وأخلاق ثم تسيير للتكنولوجيا وتحكُّم فيها بعد ذلك (عطاوي، 2014: 2)، فالعصرنة لا تعني الاغتراب بأَيِّ حالٍ من الأَحوال، وليس معناه مقايضة تاريخنا وثقافتنا بالاندماج في سلوكيات الغرب وتوجهاته.

وعلى هذا الأساس نرى أنَّ الكثير ممَّن تصدَّروا للعملية التربوية في المدارس والجامعات في وطننا العربي قد اتخذوا مسار الغرب المادي الصرف تحت شعار مواكبة التطور العلمي الحاصل في العالم فأضحى يستبدل رموز الأُمَّة بما لا يصح أن يُقارن به، فنراه يجعل من نابليون أمهر من خالد بن الوليد وشكسبير أكثر شاعرية من جرير والفرزدق أو فولتير أقوى خطاباً من ابن حزم وهلم جرا..

وبسب تلك الأَفكار المشبوهة والهدّامة التي غلَّبت الفكر المادي الغربي وتبرأَت من أَصلها وتدعونا الى الانسلاخ من عواطفنا التي هي كامنة في إنسانيتنا جعلت الكثير من مجتمعنا المعاصر يعتقد بسخافة التاريخ والأدب والجغرافية والفلسفة وغيرها، فأصبحوا معاول هدم لماضي الأُمَّة وتراثها وقدَّموا خدمات مجانيَّة للغرب الأُوروبي والأَمريكي في نفاد سموم مناهجهم تحت ستار التقدم العلمي المعاصر

(عطاوي، 2014: 3) وذلك لأَنَّ العصر الذي نعيش فيه أَصبح عصر تعميم الحضارة الماديَّة الغربية توسعت فيه دائرة النموذج الغربي في إطار التحديث السياسي والاجتماعي والاقتصادي فضلاً عن العلمي، فشملت العالم بأَسره فأَصبحت الثقافة بشقيها الفرنكفوني والانكلو سكسوني هي مركز الثقافات والمحور الذي تدور حوله بقية الثقافات التي عدت هامشية وذات دور ثانوي في صياغة المسيرة الانسانية (محفوظ، 2000: 23).

ولأَجل ذلك فقد عمل العالم الغربي بمعيَّة أَمريكا على العمل على تعميم النموذج الغربي باعتباره النموذج الوحيد الذي ينبغي أَنْ يسود العالم، وهي نزعة بلا شك استعمارية واستبدادية ضيّقة انتقدها الفيلسوف والمفكِّر الفرنسي المسلم روجيه غارودي بقوله: (الغرب عَرَضٌ طارئ وثقافته شوهاء، فليس الغرب إلّا طوراً من أَطوار الحضارة ليس أَحسنها ولا أَفضلها ولا أَكثرها إنسانية وتقدميَّة) وفي هذا الصدد يذكر الأستاذ أَكرم ضياء العمري قائلاً: (إنَّ المدنيّة أَو التقنية قد تُستعار بغير أَدنى تغيير وليس كذلك أَمر الحضارة. وتستطيع الحضارة أَنْ تُسخِّر الجوانب التقنيَّة كأَدوات لها) (العمري، 2014: 17).

وإذا ما أَردنا أَن ننهض بأَجيالنا في تصحيح مسيرة حياتهم الدراسية والمجتمعية في عصر التقنية والحاسوب لا بُدَّ أَنْ نغرس في نفوسهم أَثر روحيَّة الحضارة الإسلامية وأَصالتها في الثوابت الأَخلاقية المستمدَّة من كتاب الله وسنة نبيه صلَّى الله عليه وسلَّم، فقد أَمست القيم المتعارفة مغلوبة على أَمرها.. وأَصبح كلُّ ما بدا من تراث العصور الماضية منبوذاً كأَثرٍ مُغايرٍ للمنطق ومدموغاً بالسذاجة والتخبط (العمري، 2014، 18).

إنَّ أَصالة وعراقة تأريخ العرب والمسلمين في قيادة الأُمم خُلُقياً وعِلمياً لم يكن شيئاً عابراً في تأريخ الإنسانية، فالوسائل الفكرية التي وضعها العرب في متناول الأوروبيين كأَفضل ما تكون، كانت في الواقع أَكثر أَهمية من مجالات التقدُّم الكبير والاكتشافات العلمية العظيمة التي حقَّقها العلماء العرب في رصدهم للسماء وأشد أثراً من اختراعاتهم الفيزيائية والتقنية التي كانت أحد شروط تفننهم في هذين الحقلين الواسعين (هونيكة، 1998: 156).

ولذلك فإنّ المتابع لمنهج الغرب في التقدم والتطور لينبهر من السبق الزمني وسرعة دوران عجلتهم في كلِّ اتجاهات الحياة وسيرها البطيء عندنا (خليل، 1986: 14) ولكن يجب أَنْ لا نغفل عن حقيقة أَنَّ منهج الغرب قد أَوصد عالم الروح منذ قام عهد العقل على هذا الشكل فخسرت الحضارة الغربية والإنسان الغربي حضارات روحية عظيمة عبَّر عنها بعض المفكرين مثل رينيه دوبو عندما قارن بين التقدُّم العلمي والإفلاس الأَخلاقي قائلاً: (إذا لم نكن واعين فسيذكرنا التاريخ على أَساس أَننا الجيل الذي رفع إنساناً الى القمر بينما هو غائص الى ركبتيه في الأَوحال والقاذورات) (دوبو، 1978: 16).

ولذلك فإنَّ الحلَّ الحضاري الوحيد للأُمَّة الإسلاميَّة للخروج من نفق التخلُّف والانحطاط لا يأتي من الخارج شَكلاً ومادةً، بل هو من صميم الداخل الإسلامي، إذ أنَّ مادة التغيير والتحوّل الحضاري يجب انتاجها من داخل الأُمَّة وتاريخها وعقائدها لا من أَعدائها (محفوظ، 2000: 83).

وبالجمع بين أَقوال المفكرين المعاصرين يخلص الأستاذ محمد محفوظ الى نتيجة مفادها أَنَّ التحدّي الأَصعب الذي يواجه الشعوب والأُمم ويُدخلها في حروب وعناوين مختلفة هو تحدّي الحرب المنظَّمة لمسخ ذاكرة الشعب الجمعية، وجعله بلا تاريخ، وهذا هو التحدِّي الأَكبر الذي يواجه الشعوب ويجعلها شتاتاً بشرياً، والمقصود بالذاكرة البشرية الجماعية هي منظومات القيم وأَنماط التفكير وضابط السلوك الفردي والجماعي (محفوظ، 2000: 166).

ومع هذه الصعوبات والتحدّيات التي تعترض الأُمَّة في النهوض لا يزال الأَمل يحدو النخبة منها بأَنَّ الطريق العربي للدخول في زمن الكوكبة والعولمة، كمشاركين إيجابيين ومُبدعين هو استيعاب المكتسبات الحديثة وإطلاق نوعي لمشروعات التنمية الاقتصادية بأُطرها الاجتماعية والسياسية التي تضيف الى حركة التنمية آفاقاً جديدة وإمكانات نوعية مُستدامة (محفوظ، 2000، 128).

لذلك أَصبح علينا أَنْ ننظر الى مستقبلنا بعين ماضينا المجيد لأَنَّ تأريخنا إنصاف وإتحاف (الحجي، 2021: 33). إنصافٌ لما في تأريخ الأُمم الأُخرى من ركائز وأُسس تخدم الإنسان والإنسانيّة وإتحاف تقتبسه من عقيدتها الصحيحة التي قامت عليها هذه الحضارة وعمَّرت قرونًا فجعلت الأُمة الاسلامية تقود الأُمم بسموّ أَخلاقها ومن ثم كانت السبب في ارتفاعها وعُلُوّها في العلم والتعليم. ومن هنا نعلم أنَّ التاريخ لا يكتسِب أهميته الإيجابية إلّا بأنْ يُتخَذ كميدان للدراسة والاختبار تُستَخلَص منه القيم والقوانين التي لا تستقيم أيَّة برمجة للحاضر والمستقبل إلّا على هُداها (خليل، 1986: 84).

ولعلَّ أَصدق ما قاله في ذلك المفكِّر العربي المعروف مالك بن نبي: (ولا ينبغي أنْ نعيش المظاهر ونتحاشى البواطن، فالعلوم الإنسانية يستحيل أَنْ نشطبها من حياتنا، وهل نستطيع أن نمحو شخصيتنا وهويتنا مهما تحكّمنا في التكنولوجيا وغُصنا في المجالات العلمية؟ بالطبع لا، فالإنسان مادة وروح لا فصل بينهما، الروح هي الإنسانيات والمادة هي التكنولوجيات).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التوصيات

1-مواكبة الجامعات العراقية وخاصة الكليات الانسانية التابعة لكل ما يستجد على الساحة العلمية العالمية من خلال المشاركة في المؤتمرات العلمية القارية والعالمية.

2-إقامة مؤتمرات وندوات وورش عمل دائمة في الجامعات العراقية فيما يخص التطور المستمر للعلوم التقنية والرقمية.

3-تدريب الكوادر التدريسية في الجامعات، وذلك بإقامة دورات خارج القطر لزيادة المهارة واكتساب المعرفة من الدول المتقدمة في العلوم والمعارف.

4-تفعيل فقرة التوأمة مع الجامعات العالمية التي بقيت حبر على ورق في المؤتمرات العلمية السابقة.

5-تكريم الأساتذة الباحثين المبدعين الذين أسهموا بمؤلفات وشاركوا بمؤتمرات عالمية أَو إقليمية ولم يحضوا بأي دعم من رئاسة الجامعات ولا وزارة التعليم العالي.

Sources and references

1. Ibn Khaldun, Abdul Rahman bin Muhammad (D. 808 AH)
2. Introduction by Ibn Khaldun, (ed.), Beirut, Dar Al-Fikr, 1988 AD
3. Badrawi, Hammam and Ahmed, Shaker Fathi
4. -2Comparative Education, 1st edition, Egypt, Arab Nile Collection, 2003 AD
5. Bernal, J. D.
6. -3The Social Function of Science, Britain, George Rutfeld and Sons Press, 1939 AD
7. Toffler, Alvin
8. -4Future Shock, translated by: Muhammad Ali Nassef, 2nd edition, Cairo, Egyptian Society for the Dissemination of Knowledge and Arab Culture, 1990 AD.
9. Al-Jassim, Jaafar
10. -5Information Technology, 1st edition, Amman, Osama Publishing House, 2005 AD.
11. -Al-Hajji, Abdul Rahman Ali.
12. -6Our history is written by those who write it, 1st edition, Tarrous Office, Kuwait, 2021 AD.
13. -Hosni, Enas
14. -7European-Islamic Civilizational Contact, World of Knowledge, Kuwait, 2016 AD.
15. -Khalil, Imad Al-Din.
16. -8On Rewriting Islamic History, 1st edition, House of Culture, Qatar, 1986 AD.
17. Devlin, Keith
18. -9Man and knowledge in the information age, how to transform information into knowledge, Arabization: Shaden Al-Yafi, 1st edition, Riyadh, Obeikan Library, 2001 AD.
19. Dubeau, Rene
20. -10The Humanity of Man: A Scientific Criticism of Material Civilization, translated by Nabil Al-Taweel, King Fahd National Library, 1978 AD.
21. Shams Al-Din, Faisal Hashem
22. -11Information Technology, 1st edition, Cairo, Dar Shams for Distribution and Publishing, 2008 AD Al-Samer, Faisal
23. Arabs and European Civilization, Al-Hurriya Printing House, Baghdad, 1977 AD.
24. -Al-Omari, Akram Diaa
25. -13Renaissance and Culture, Arabs and the Experiences of Nations, Dar Ibn Hazm, Beirut, 2014 AD.
26. Ali, Nabil
27. -14Arab Culture and the Information Age, 2nd edition, Kuwait, World of Knowledge, 2000 AD.
28. Martin, Hans-Peter and Schumann, Harald
29. -15The Globalization Trap, translated by: Adnan Abbas, Kuwait, National Council for Culture and Arts, 1990 AD.
30. -Mahfouz, Muhammad.
31. -16Islam, the West and the Dialogue of the Future, 2nd edition, Arab Cultural Center, Casablanca, 2000 AD.
32. Al-Malat, Ahmed Khalifa
33. -17Cybercrimes, 2nd edition, Alexandria, Dar Al-Fikr Al-Jami'i, 2005 AD
34. -Hunika, Zaghreed
35. -18The Arab Sun Shines on the West, transcribed from the German: Farouk Baydoun, Dar Sader, Beirut, 1998 AD.
36. -Al-Yahyawi, Yahya.

37. -19Building knowledge societies in the Arab region, Alam Publishing House, Cairo, 2019 AD.
38. -Research and articles
39. Bizan, Hanan Al-Sadiq
40. -19The information age, what does it hide within its folds? Informatics Magazine, Issue: 6, 2004 AD
41. -Maash, Mortada
42. -20Information is a new authority, Al-Naba' Magazine, Issue: 50, 2000 AD.
43. -Atawi, Al-Tayeb
44. -21There is no disconnect between the humanities and technological sciences, an article in "Oud Al-Nad" magazine. Issue (91), 2014, Algeria.
45. Odeh, Jihad.
46. -22Introduction to Advanced International Relations, Arab Bureau, Cairo, 2014 AD.
47. -Yassin, Saad Ghaleb
48. -23Informatics and Knowledge Management, Arab Future Magazine, Issue: 260, 2000 AD
49. Letters and theses
50. Al-Zubaidi, Dhabyan Shamam Hassan
51. -24Information systems and their impact on strategic planning, Master's thesis, College of Political Science, 2001 AD